﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: 7 - 10]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

اللـه تعالى ينوِّعُ للعباد من الآيات ما يرهِّبهم مِن عَمَل الشَّرِّ، ويرغبهم في عمل الخير

لمّا ذَكَر الله تعالى مِن الآيات العُلويّة مِن عالم المُلْك اثنين ومن السُّفْليّة أربعةً، فأفهَمَ جميع الخلق أنّ الأمر في غاية الخطرِ، فتشوَّفَت النفوس إلى ما يفْعل؛ قال ذاكرًا لِما أراد مِن عالم الغيب والملكوت - وهو أمورٌ ستَّةٌ على عدد ما مضَى من عالم الملك والشهادة - ترغيبًا في الأعمال الصالحة والقُرَناء الصالحين؛ لئلّا يُزوَّج بما يَسوؤه، وابتَدَأ بما يناسب تكويرَ الشمس: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلنُّفُوسُ﴾: نَفُسَ الشيءُ - بالضمِّ - نَفاسَةً: كرُم، فهو نفيسٌ، وأنفَس إنفاسًا مثلُه، فهو مُنْفِسٌ، ونَفِسْتُ به مثل ضَنَنْتُ به لِنَفاسته وزنًا ومعنًى، ونفِسَت المرأة - بالبناء للمفعول - فهي نُفَساء، والجمع نِفاس بالكسر، ومثله عُشراء وعِشار، ولا يقال في الحيض نُفِسَتْ - بالبناء للمفعول - وهو من النَّفْس، وهو الدّمُ، ومِنه قولهم: لا نَفْس له سائلةً، أي: لا دم له يجري، وسمّي الدم نفْسًا؛ لأنَّ النَّفْس التي هي اسم لجملة الحيوان قِوامها بالدم والنُّفَساء من هذا.

وخرجت نفْسُه، وجاد بنفْسه؛ إذا كان في السياق، والنَّفْسُ مؤنث إن أريد بها الرّوح، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: 1]، وإن أُريد الشَّخص؛ فمُذَكَّر، وجمع النَّفْس أنفُس ونُفوس، مثل: فلْس وأفلُس وفلوس، والنَّفَسُ - بفتحتين - نسيمُ الهواء، والجمعُ: أنفاس،

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 279.

وتَنفَّس أدخل النَّفَس إلى باطنه وأخرجه، ونفَّس الله كربتَه تنفيسًا: كشفها[1]، و﴿ٱلنُّفُوسُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ هي الأرواح.

2) ﴿زُوِّجَتْ﴾: الزَّوْج - بالفتح - : الفَرْدُ الذي له قَرين، ومنه: زَوْجا حَمام، أي: ذكرٌ وأُنثى، وزوجان مِن الخِفاف، أي: اليمين والشمال، وزَوْج المرأة: بَعْلها، وزَوْج الرجل: امرأته، وزاجَ بينهم: حَرَّشَ، وأغرى، وزاوجه: خالَطَه، وتزوَّجَه النومُ: خالطه، والتزاوج: تداخُلٌ بين شيء وآخر حتى يشتبِكا، ويختلِطا، ويرتبطا معًا، كالذكر بالأنثى، والنوم بالنائم، وكالذين حُرِّشَ بينهم، فاشتبكوا.

ولا يقال للشيء: زَوْجٌ إلا وهو مرتبط بآخر ارتباطًا مادّيًّا أو معنويًّا، ومن هنا أُطْلِق الزوجُ على امرأة الرجل، والتزويج عقد اقتران الرجل بالمرأة: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: 37] ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ [الدخان: 54]، واستعمل في قَرْن الأشباه؛ لأنّ المشابهة تربط المتشابهين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، وقال ﷺ: «يُقْرَن كلّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله»[2]، فـ ﴿زُوِّجَتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أي: أُلحِق كلُّ إنسانٍ بشكلِه، وقُرِن بينَ الضُّرَباءِ والأمثالِ، أو أنّ الأرواحَ رُدَّت إلى الأجسادِ، فزوِّجت بها[3].

3) ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾: وأَدَ يئِد، اوْئِدْ إدْ، وأْدًا، فهو وائِد، والمفعول موؤود ووَئيد، وأَدَ البنتَ خشيةَ الفقر والعار: دَفَنها في التّراب حيَّةً، عادة جاهليّة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، والوأْدُ: الضغط إلى أسفل بثقَلٍ عظيم، كضَغط الإبل على الأرض في وطنها مع ثِقَل جِسْمها وثقل أحْمالها، وكالحائط يسقط بثقَله الذاتي وثقل الهوي، ومنه: وأَدَ ابنتَه: دَفَنَها في القبر وهي حَيّة، أي: أثقلها بتُرابٍ ورمْلٍ كثيرٍ ضاغطٍ[4].

4) ﴿ذَنۢبٍ﴾: ذَنَبُ الدّابة وغيرِها معروفٌ، ويُعبَّر به عن المتأخّر والرّذل، يقال: هم أذناب القوم، وعنه استُعير: مَذانِبُ التّلاع، لمسائل مياهها، والذَّنوبُ: الفرس

(1) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (نفس).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (زوج).
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 141 وما بعدها.
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وأد).

الطويل الذنَب، والدّلو التي لها ذنَب، واستعير للنّصيب، كما استعير له السَّجْل، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الذاريات: 59].

والذَّنْبُ في الأصل: الأخذ بذَنَب الشيء، يقال: ذَنَبْتُهُ: أصبت ذنَبه، ويُستعمل في كلّ فعل يُستَوْخَم عقباه اعتبارًا بذَنَب الشيء؛ ولهذا يسمّى الذَّنْبُ تبِعَة؛ اعتبارًا لِما يَحصل مِن عاقبته، وجمع الذّنْب ذُنوب، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 11][1]، فمعنى ﴿ذَنْبٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ تَبِعة، أي: فبأي تبِعة وجريرة وُئِدَتْ؟.

5) ﴿نُشِرَتْ﴾: النَّشْر - بالفتح - : جميعُ ما خرج من نبات الأرض، نشَرت الأرض: أصابها الربيع، فأنبتتْ، والعُشْبُ: اخْضرَّ بعد يُبْس في دُبر الصيف بمطَرٍ يصيبه، والنَّشْر: سطوعُ الريح طيبةً أو غيرها، نَشَرْت الثوبَ والمتاعَ: بَسَطْته، ونَشَر الخشبَ بالمنشار: قطعه، نَحَته، والمنشار: الخشبة التي يُذَرَّى بها البُرُّ، وهي ذات الأصابع، النُّشرة - بالضم - : رُقية يعالج بها المريض والمجنون تُنَشَّر عليه تنشيرًا، والمنشور من كتب السلطان ما كان غير مختوم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ بُسِطت، وقرأ كل إنسان ما في صحيفته[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كل امرئ يُحشر مع من أحبّ، ويتناول كتابَه على حسبِ عمَله

ومن الأحداث الخطيرة المحقَّقةِ الحصول - حين يحين أوانها، ويأذن الله تعالى بوقوعها، ويتوقَّف على حصولها عِلْمُ كل نَفْس ما أحضرَتْ - أنْ تُزَوَّج النفوس بأشباهها، فتُقرَن النفوس المؤمنة بالمؤمنة، وتُهيَّأ لِجنانِها، والشريرةُ بالشريرةِ، وتوجَّه إلى جحيمها، وتُلحَق الأعمال الصالحة بأهلها، والطالحة بأصحابها.

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (ذنب).
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نشر).

وكذلك مِن المؤكَّد وقوعُه أنْ تُسأل البناتُ اللاتي وأدَهُنّ أهلُهنّ عن سبَب قتْلِهنّ، وتسأل كل واحدة منهنّ عن الجريمة التي اقترفتْها، فحَمَلَت وائِدَها على وأْدِها حيّةً بتلك القَسْوة والبشاعة؟.

ومن المُحَقَّق وقوعه أيضًا حينئذٍ تَطايُر صحائف أعمال الناس - مؤمنين وغير مؤمنين - ونَشرُها على رؤوس الأشهاد، فيتناول كل إنسان كتابه، فإن كان مؤمنًا من أهل الصالحات؛ تناوله بيمينه من أمامه، وإن كان كافرًا أو فاجرًا؛ تناوله بشماله أو من وراء ظهره، كما ورد صريحًا في آيات أُخَرى من الذِّكْر الحكيم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ عاطفةٌ هذا الشرطَ على الشروط السابقة، فهي للجمع بينها جميعًا في التهيئة للحساب المفهوم من جملة الجواب بعدُ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾.

حقيقٌ بمن علم هذه الأحوال أن يستعدَّ ليوم المآل

وبداية من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ "شروعٌ في ذكر الأحوال الحاصلة في الآخرة يومَ القيامة، وقد انتقل إلى ذكرها؛ لأنها تَحصل عقب السِّتَة التي قبلها، وابتدئ بأوَّلها، وهو تزويجُ النفوس"[1].

معنى (ال) في ﴿ٱلنُّفُوسُ﴾، ودلالة جمعها على (الفعول):

(الـ) في ﴿ٱلنُّفُوسُ﴾ لِتعريف الجِنْس، أي: جميع النفوس "مِن الناس وغيرِهم"[2]؛ إذ تُقرَن بعضُها ببعض، فتُقْرَنُ كلُّ نفسٍ بالنَّفْس أو بالنُّفوس التي تلائمها - خيرًا وشرًّا، أو تُقرَن النفوس بالأعمال التي عمِلتْ، أو تُجازَى النفوس بالمكافآت التي تَستَحِقُّ على أعمالِها مِن جنَّةٍ ونار.

لا يغيب أحدٌ عن يوم الجزاء والحساب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 143.

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 279.

ولفظ (النَّفْس) يطلق على الرّوح، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: 27 - 28]، وتُطلَق النفس على ذات الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: 151]، فيجوز أن يكون معنى النفوس هنا الأرواح، ويجوز أن يكون المعنى: وإذا الأشخاص نوِّعَتْ، وصُنِّفَت، فجُعِلت أصنافًا؛ قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: 7 - 10][1].

وجاء لفظ ﴿ٱلنُّفُوسُ﴾ جمعَ كثرة على (فُعول)؛ لِمُناسبة تلك الأعداد الغفيرة من ﴿ٱلنُّفُوسُ﴾ واستيعابها، فإنها مِن الكثرة بحيث لا يُحصيها عدًّا إلا الله تعالى.

دلالة التزويج في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾:

مصاحبة المتقين فـوزٌ فـي دار النعيم

أوَّل منازل البعث اقترانُ الأرواح بأجسادها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: 68]، ثم يُقسَّم الناس حسب أعمالهم، كما قال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: 71] ثم قال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73] الآية[2]، فيزوّج الله تعالى بعض هؤلاء بعضًا، زوَّج أصحابَ اليمين أصحابَ اليمين، وأصحابَ المشأمة أصحابَ المشأمة، والسابقين السابقين؛ قال: فهذا قولُه: ﴿٭ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: 22][3]، ولذلك عبَّر بالتزويج هنا؛ للدلالة على هذه المرحلة من البعث والحشر.

لطيفة بناء الفعل ﴿زُوِّجَتْ﴾ للمفعول:

من المقامات ما يقتضي توفير عناية المخاطب على الفعل، لا الفاعل

وفي بناء الفعل ﴿زُوِّجَتْ﴾ للمفعول توفير لِعناية المخاطَبين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 143.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 144.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 19/ 521.

على النظر إلى الفعل والانشغال به وتدبُّره، لا النظر إلى الفاعل والانشغال به، فالأهم هنا هو رَبْط كل نفس بعَمَلِها، وقَرْنِها بأشباهها، وتوجيهها إلى المصير المناسب لها - مِن جنةٍ أو نار؛ لتحرص النفس أن تكون في زمرة المتقين، وجماعة الصالحين.

نكتة تخصيص سؤال الموؤودة بالذِّكر دون غيره مِن جرائم الظالمين:

خصَّ النظم الكريم سؤال الموؤودة هنا بالذِّكر دون غيره من جرائم الظالمين؛ لمناسبة ذِكر تزويج النفوس بالأجساد؛ وذلك لأن إعادة الأرواح إلى الأجساد كان بعد مفارقتها بالموت، والموتُ إمّا بعارضٍ جسديّ مِن انحلال أو مرض، وإما باعتداءٍ عُدوانيّ من قتلٍ أو قتال.

وأدُ الآبـــاء أبـنـاءَهـم مِـن أفظعِ الجرائم؛ لأن حِرْص الآباء عـلى حياتـهـم فطرة أصيلة

وكان من أفظع الاعتداء على إزهاق الأرواح مِن أجسادها اعتداءُ الآباء على نفوس بناتهم بالوأد؛ فإنّ الله جَعل في الفطرة حرصَ الآباء على استحياء أبنائهم، وجعل الأبوين سببَ إيجاد الأبناء، فالوأد أفظعُ أعمالِ أهل الشِّرْك، "وظاهرُ الآية أنّ سؤال الموؤودة وعقوبة مَن وأدَها أوّل ما يُقضى فيه يومُ القيامة، كما يقتضي ذلك جعْلَ هذا السؤال وقتًا تُعْلَم عنده كل نفس ما أحضرَتْ، فهو مِن أوّل ما يُعلم به حين الجزاء"[1].

معنى (ال) في ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾، وغرض إفرادها:

﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ هي المدفونةُ حيةً، وكذلك كانت العربُ تفعَلُ ببناتِها، ومنه قولُ الفرزدقِ بن غالبٍ:

الرضا بالجريمة رضًـــا بـكـل مـثـيـلاتـهـا في العالم

ومِنّا الذي أحْيا الوَئيدَ وغالبٌ *** وعمرٌو ومنا حامِلونَ ودافِعُ[2]

و(الـ) في ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ لتعريف الجنس؛ إذ لا يتعلَّق ذلك الترهيب بوَأْدِ موؤودة معينة، بل هو حُكم عام لكل حالة وأْدٍ وقعت في دنيا البَشَر.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 144.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 147.

وفي إفراد ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ مزيدُ ترهيبٍ مِن الإقدام على مقارفة تلك الجريمة الظالمة؛ فوَأْدُ موؤودة واحدة جريمةٌ مستقِلَّة توجب العقوبة، ومن رضي وأْد واحدةٍ؛ فقد رضي وأد بنات العالم كلّه، فقد قال الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، وقال ﷺ: «إذا عُمِلَتِ الخَطيئَةُ في الأرْضِ؛ فمَن شَهِدَها، وأنْكَرَها؛ فهو كَمَنْ غابَ عَنْها، ومَنْ غابَ عَنْها، ورَضِيَها كَمَنْ شَهِدَها»[1].

غرض توجيه السؤال إلى ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ في جملة ﴿سُئِلَتْ﴾:

سؤال الموؤودة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ إنكار وتوبيخ لوائدها؛ لِتقول: بلا ذنب قُتِلْتُ، أو لِتَدُلَّ على قاتلها، فهو توبيخٌ لِقاتلها بصَرْفِ الخطاب عنه، كقوله تعالى لنبيه عيسى ﷺ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116] الآية[2].

في صرف الخطاب عن المجرم إلى خَصمه المظلوم مزيدُ تبكيت وتهديد

فالمجني عليه إذا سئل بمحضر الجاني، ونُسِبت له الجناية دون الجاني؛ بَعث ذلك الجانيَ على التفكُّر في حاله وحال المجنيِّ عليه، فيرى براءة ساحته، وأنه هو المستحِقّ للعقاب والعذاب، وهذا استدراجٌ على طريق التعريض، وهو أبلغ من التصريح[3].

وأيضًا في توجيه السؤال إلى الموؤودة في مواجهة وائدها الظالم تربيةٌ للخوف في نفسه وتعظيمٌ لِجريمته؛ إذ إنَّ الموؤودةَ وهي المظلومةُ تُسأل، وكأن مَن تعلقتْ به تلك الجريمة - وإن كان المفعول به - يُسأل، فكيف بعِظَم ذنب مَن تعلقت به الجريمة، وهو الفاعل المتلبِّس بها المتحمّل تبعاتها؟.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، رقم الحديث: 4345، والطبرانيُّ، المعجم الكبير، رقم الحديث، ص: 345.
(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 606.
(3) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 20/ 113.

لطيفة بناء الفعل: ﴿سُئِلَتْ﴾ للمفعول:

في بناء الفعل ﴿سُئِلَتْ﴾ للمفعول مزيدُ تشنيعٍ على وائد ﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾؛ وذلك لإطلاق جهات المساءلة، وأنه يَصير عُرضةً لمساءلة كل مَن تتأتَّى منه المساءلة، ويكون محل تعنيف وتبكيت من كل من يتأتى منه يومئذٍ التبكيت؛ بسبب جريمة الوأد، وهل يكون له قِبَلٌ بمواجهة تلك الجهات جميعًا؟ فذلك مرعب ومخيف لكل من تسوِّل له نفسُه وأدَ ابنته.

تعرُّض الموؤودة ووائدها لمساءلة مَـن تـتـأتَّى منه المساءلة يـوازي فظاعة جريمته

معنى الباء في ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ وموقع جملتها:

الباء في جملة ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ باءُ السببيَّة، والجملة بيان لِجُمْلة ﴿سُئِلَتْ﴾[1]، وتعبير صريح وواضح عن مضمون السؤال الذي وُجِّه إليها، وأنَّه هو هذا: بأي ذنب قُتِلَتْ أيتها المظلومة؟ كما يمكن اعتبار جملة: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ مقولًا لقولٍ محذوف، والتقدير: وإذا الموؤودة سئلت فقيل لها - على سبيل الحكاية - بأيِّ ذنب قتلت؟.

على كل ظالم أنّ يُعِدّ لكل مَظلمة احتمَلَها سببًا مقبولًا

دلالة التعبير بـ (أيّ) في قوله: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾:

(أيٌّ) "اسمُ استفهام، يُطلب به تمييز شيء مِن بين أشياءَ تَشترك معه في حالٍ"[2]، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ يُطلب به تمييز السَّبب الذي حمل الوائدَ على قتل الموؤودة؛ بغرض تحقيق الجُرم وإلزام الحجة وتثبيت العقوبة؛ إذ لا سبب مقبول لوأد الوليدة، وبخاصّة من والديها المفترض فيهما الحرص على صيانتها من كل سوء وضُرّ.

لا حجَّة مقبولة في قتل النفس بغير حقٍّ

دلالة التعبير بـ ﴿ذَنۢبٍ﴾:

الذَّنْبُ هو المعصية، يقال: أذنَبَ المكلَّفُ، أي: ارتكب معصيةً وإثمًا،

في تبكيت المجرمِ بجريمته تحذيرٌ لِـــغـــيره مـن ارتكاب مثلها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 146.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 146.

وأذنب المتَّهمُ، أي: ثبتتِ التهمةُ عليه، وأقرَّ بأنّه مُذنِب[1]، والذّنبُ مطلقَ الجُرم - عمدًا كان أو سهوًا - والإثم مختصٌّ بالعمد[2]، وفي سؤال الموؤودة: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتۡ﴾ تقرير لوائدها بانتفاء الذنب عنها، وإمعان في تبكيته، وترهيب لغيره ممّن لا يزالون في الدنيا - وقت نزول الآية الكريمة وبعده - مِن ارتكاب مثل فعلته الشنيعة، وفيه أيضًا إبطال لكلِّ سبب قد يحمل الإنسان على وأد البنات.

نُكْتة حَذْف جواب الموؤودة:

وراء حَذْف جواب سؤال الموؤودة إيذانٌ بانعدام الجواب أصلًا، وأن الموؤودة لا ذَنْب لها ولا جريرة، ولا إثم يوجِب قتلها أصلًا، فضلًا عن أن يكون مِن والدَيها، وأيضًا فإنَّ في حذف الجواب إشارةً إلى أنّ ما يتذرَّع به الوائدون - مِن خشية الإملاق، أو خشية العار المتوقّع بسبب أسرها من قِبَل العدوّ - لا يُعتدُّ به، ولا يُقبَل عند الله تعالى، ولا يُعفي من العقوبة، فلا تُقبل ذريعةٌ لِقتلِ النفس التي حَرَّم الله تعالى إلا بالحقّ، ولا حقّ لهم في قتل الموؤودة الضعيفة البريئة.

لا تُقبل ذريعةٌ لِقتلِ النفس التي حَرَّم الله تعالى إلا بالحقّ

القراءات القرآنية في ﴿قُتِلَتۡ﴾ وبلاغتها:

قرأ أبو جعفر بتشديد التَّاء: ﴿قُتِّلَتۡ﴾، وقرأ الباقون بِتَخْفِيفِهَا: ﴿قُتِلَتۡ﴾[3]. وحجّة مَنْ شَدّد هي تبشيعُ الفعل في أُذُنِ السّامع، وهي تفيد معنى أنّه قَتْلٌ شديد فظيع، وأمّا مَن خفّف فَلِأَنّ الفعل صَدَر منه مرة واحدة[4]. وفي القراءتين أيضًا مشاكلة رؤوس الآي المثقَّلة والمخففة قبل وبعد.

في تشديد الفعل تبشيعه لينفر منه السامع

(1) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (ذنب).
(2) مجموعة من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: 9/ 4201.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 398.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 149.

معنى (ال) في ﴿ٱلصُّحُفُ﴾:

(الـ) في ﴿ٱلصُّحُفُ﴾ للعهد الذِّهنيّ، الذي أخبرت نصوص الوحيَيْن الشريفين الناسَ عنها، يعني صحف الأعمال؛ إذ كَتَبَ الملائكةُ فيها ما فعل أهلُها من خير وشرّ، فهي تُطوَى بالموت، وتُنْشَر يوم القيامة، فيقِف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: 49][1].

الصحف يوم القيامة صحُفٌ فيها أعمال العباد

دلالة التعبير بالنَّشْر في جملة ﴿نُشِرَتْ﴾:

في التعبير بالنَّشْر دلالة على أن الصُّحف فُتِحَتْ، وبُسِطَتْ للحساب، ويجوز أن يُراد نشرت بين أصحابها، أي: فُرِّقَت بينهم[2]، ونَشْر الصحف حقيقة، وهو فتح طيّات الصحيفة، أو إطلاق التفافها؛ لتُقرَأ كتابتُها[3]، وفي هذا تحذيرٌ لكلِّ عبد، وتحريض له على أن يحرص على ملءِ هذه الصحيفة بالأعمال التي تنفعه، قال قتادة: صحيفتك يا بن آدم تُطْوَى على عملك، ثم تنشر يوم القيامة، فلينظر رجلٌ ما يُملي في صحيفته[4].

حقيقٌ بكلِّ عبد أن يملأ صحيفته بالخير؛ استعدادًا ليوم النشر

دلالة بناء الفعل ﴿نُشِرَتْ﴾ للمفعول:

في بناء الفعل ﴿نُشِرَتْ﴾ للمفعول؛ دلالة على العلم بالفاعل، وهو الله تعالى بالأمر (كُن)، أو الملائكة الكرام بتنفيذ أمره تعالى، أو أنه "إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش، فتَقع صحيفة المؤمن في يده في جنّة عالية، وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم[5].

الأخطر عند الناس في أحداث النهاية فظاعتُها لا تعلّقها بفاعل معيّن

(1) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 215.
(2) خان محمد صديق، فتح البيان في مقاصد القرآن: 15/ 101.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 149.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 709.
(5) الزمخشري، الكشاف: 4/ 709.

وعلى كلّ الاعتبارات ففي حذف فاعل ﴿نُشِرَتْ﴾ وبنائه للمفعول إيحاء بأنه لا يَتعلّق بذِكْر الفاعل وتحديدِه غرضٌ في مقام نشر الصحف، وتناول أصحابها إياها، كلٌّ بحسب إيمانه وعمله.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"